





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

كلمات للضياع..
حبيبة للمنفى

كلمات للضياع..
حبيبة للمنفى

شعر

خريستو المر



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



الطبعة الأولى: آب/أغسطس 2018م - 1439 هـ

ردمك 978-614-02-3541-0

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

صورة الغلاف بريشة: فالنتينا الحاموش

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

الإهداء

إلى الأبرياءِ وكلّ المحبّينَ

في كلّ منفى

إلى الله في الأبرياءِ وكلِّ المحبّينَ

في كلّ منفى

أوجّه شكري للأستاذ فادي شاهين
لمرافقته الشعريّة وملاحظاته القيّمة خلال
كتابة هذا الديوان،
وللأستاذة ليليان بركات
لتحقيقها اللغويّ الدقيق

المحتويات

حكاياتٌ للعصافير

كن أنت

منفى

إشراق ورغيف

فوق الصليب

نهد

دموع العصافير

فِلَسْطينُ اسمي

حرقوا الرضيع

تلك النّار

ولد مرميّ على الشاطئ

طفلة غارقه

نجوم

عتاب

إِلَهٌ يَخْتَبِئ

وحيداً

انْتِظارُ المَوْقِف

مهاجر

سنرحل

لم يكن ولم نكن

شيء

عين في عين

ابتعد قريباً

مصالحة

تقول الأرض

مُهَجّر

ارتعاش

لعبٌ في الحارة

قذيفه

جوع

إلى أين نذهب؟

أنت الأميرة

هو الحب

وحيدان

وردة

قمر يشبه الشوق

قليلٌ من الحبّ

المزيد

لماذا؟

الياسمين

الآخرون

شهرزاد

ولادة

حكاية درويش

سَحاب

ورد الطريق


حكاياتٌ للعصافير

لا مقرُّ

في بِئْرِ حُبّي تعالى،

ملامحٌ لا تزولُ،

وجهٌ يُنادي: تَعالَ يا أنتَ

كُنْ ما تقولُ.

كُن أنتَ،

أَيْ كُنْ غريبا،

وكن دليلاً يشظّي،

كُن ضوءك المستحيلا،

أيْ كُنْ حبيبا،

وَإشْراقًا في الجِراح

جميلا.

***

حوّلْ مماتَكَ لانْتِصارٍ

عتّقْ جراحَك في الجرارِ

خُضْ حرْبَ حُبِّكَ، لا فِرارَ،

مَلِّحْ ضَياعَك بالبكاءِ

غمِّسْ رحيلَكَ بِالنَّهارِ

***

لَكَأَنَّني ما كُنْتُني

لكأَنَّني مَنفايَ كُنْتُ

طويلا،

لكأنَّني وجهٌ بِلا وجهٍ

بِلا عُمْرٍ يستوطِنُهُ الصَّباحُ

قَليلا

ورأيتُ فيَّ فراشةً

كتَبَتْ لِي بِجَناحِها:

كُنْ مَنْ تكونُ

كتبَتْ: هُناكَ طريقٌ

فكُنِ الطريقَ

أحْبِبْ لِتَحيا حُرَّاً طليقا

في أرضِ حُبِّك لا مَقَرٌّ،

في وهج جُرحِك لا مَقَرٌّ،

في ورد ضِلعِك لا مَقَرٌّ،

فالملحُ حصَّةُ جرحِكَ

والبحرُ أرضُك لا مَقَرٌّ،

والشمسُ واحَةُ عمرِكَ

والله عِشقُكَ لا مقَرٌّ،

والمستحيلُ ضَياع دربِكَ

لا مقرٌّ

لا مقرٌّ.

وَلَدٌ

منذُ الطُّفولةِ انْطَفأَتْ أناهُ

وقيلَ لَهُ:

أيا ولدُ اترُكْ جَناحَكَ خارجاً، واكْتُبْ هُنا:

أَفكارُنا صِفْرٌ

مشاعرُنا صِفْرٌ

هنا لا قوّةٌ لكَ يا ولدْ،

لا جُملَةٌ لتقولَ لا،

لا

لا شِراعٌ

لا إلَهٌ

لا شَوارعُ لَكْ

ولا حتَّى بلَدْ

إفرحْ هنا.

فَهُنا العبيدُ

الناجحون

والحُرُّ ينعم في السُّجونِ.

...

كَبِرَ الوَلَدْ

طَحَنَ البَلَدْ

قتَلَ الأَمَدْ

صَرَخَ وَلَدْ:

يا خالقي يا خالقي

أينَ الإلَهُ فيكَ أينَ؟

يا خالقي ما هَذِهِ النّيرانُ في وَجَعِ السَّماءِ

ما هَذِهِ الميتاتُ في جَسَدِ الأَبَدْ

يا خالقي أينَ البَهاءُ

أُمّي تَموتُ بِلا بَلَدْ

أمّي تموتُ ولا أَحَدٌ لي،

لي لا أحَدْ،

لا أبَدْ

لا لحظَةٌ،

لا وردَةٌ

لا وُجهَةٌ،

لا لُعبَةٌ.

لِي في ضُلوعي غُربَةٌ،

تَرتاحُ في هذا الجَسَدْ.

يا خالقي، هل أَنتَ لي؟

أَظْهِرْ جمالَكَ أنْتَ لي.

يا لغزَ غُربَتِنا تعالَ

تَعِبَ الصَّباحُ مِنَ الصَّباحِ

تَعِبَ الصَّبِيُّ مِنَ الجِراحِ

وشَقيقَتي نامَتْ هُنا

وتلحّفَت بالثلج هُنا

وَأنا قَريبٌ مِنْ هُنا

وأنا غَريبٌ مِثْلَكَ

فتَعالَ

واجعلْنا مَعَكَ

تعالَ،

جَرَّحَني التُّقاةُ

وأنا وراءَكَ كَالحُفاةِ

وأنا أحبّك أو أقولُكَ لا ولا

فَيَدي أَحْلامٌ

وفي جُرْحي

شُعاعٌ

يَهْتِفُ: لا،

ولا

ولا

دم الأبرياء

دمُ الأبرياءِ

ولا شيءَ إلاّ

دمُ الأبرياءْ

إلهي حديقةُ حبٍّ

وحبٌّ بحبٍّ

أغاني السماءْ

هو الحبُّ مصباحُ نورٍ

تضيئُه طعنةٌ

في عروقِ السماءْ

ويشعُّ يشعّ، ولا يتراأى سوى

لاشتعالِ الفراشاتِ

في وقفة الضعفاءْ

دمُ الأبرياءِ

ولا شيءَ إلاّ دمُ الأبرياءِ

وينتشرُ الحبُّ يوماً

ويختصرُ العمرَ حرّيةً

وينتصر اللهُ في

دمِ الأبرياءْ

دمُ الأبرياءِ

ولا شيء لا شيء إلاّ

دمُ الأبرياءْ

رحيل

وأنزِفُ نجوماً وراءَ نجومٍ

تضيقُ تفاصيلُ حزنٍ قديمٍ

وينكَمِشُ المستحيلُ...

سنرحلُ

كِلانا كثيفٌ

كما الذكريات

سنرحلُ...

سنرحلُ

يوماً،

ولو أنّي ألمسُ السرَّ فيكِ

قليلاً

لكانَ مسائي معي أجملَ

لكنتُ غريباً أقلَّ

وكنّا معاً حبَّنا الأكملَ

لذُقْنا الوضوحَ

أخيراً

وراء النِّهاياتِ

كلانا شِراعٌ

كوَعْدِ الحِكاياتِ...

سنرحلُ

جرحاً

أوِ اثنينِ

علّ السماءَ تدلّي جدائلها

لنَرْفَعَ حُبّاً إليها

ونُشْعِلَ قَلباً لَديها

كما في العشيّاتِ

ولو

قليلاً

سنرحلُ

سنرحلُ حبّاً

ونشربُ نخبَ الغيابِ

وأمّا السَّحابُ

فَآهٍ من السَّحابِ

يكونُ كأنّهُ لا يكونُ،

سيهوي الحِجابُ

وينهزم الغياب

جواب

"أنْ نُحِبَّ أو لا نُحِبّ

هذا هُوَ الجَوابُ"

يُغنّي دمي

في خريرِ الجِراحِ

وغابتُكِ الهائمة

كحلمتك النائمة

تضيء انبهاري

تشرّد روحي بدون رياحِ

وأَعشقُ شَمسَ انتشارِكِ

فوق شمعِ جَناحي

أطيرُ وأهوي

ببحرِ الصَّباحِ

أُحجِيَة

حُزنُكِ كانَ أُحجيَتَيْنِ

وراءَ الصوتِ

حاول قلبِيَ الإبحارَ

خلف الموتِ

لكنْ

طارَ عصفورٌ من الشَّفتينِ

فابتدأَت أغاني الصَّمتِ.

سورةُ العَيْنَيْن

وأهُزُّ إلَيَّ جذوع النجومِ التي تتقمَّصُ عينيكِ...

تَسقطُ فاكهةُ الضَّوْءِ حُبّاً،

فألقى كتابَيْنِ:

أنتِ وذا النورَ،

وألمحُ سرّاً

صباحاً وفيه صباحٌ غفورُ

بقلبِ مَغارةٍ،

والمغارةُ نجمٌ يَدورُ

يُشِعُّ بضوءِ إلهٍ

بعيدٍ

قريبٍ

يكادُ بحبٍّ مُضيءٍ يُضيءُ حُبّي

ولو لم يلمِسْهُ،

نُورٌ عَلَى نُورٍ

يُجَمِّعُني بحضورٍ

لأصبحَ دهشةً

في طريقٍ.

يقولُ العامِل

هناكَ يَدٌ تشتهيها يدي

في يدي

يا يدي

كُلَّما متُّ في تُرْبةٍ

صارَتِ الأَرْضُ حيّة

وإذا ما قطفتُ الغمامَ تحوّل قمحاً

وغنَّتْ صبيَّة

وإذا ما جرحتُ المساءَ تأوّهَ برتقالاً

وعُدْتُ فتيّا

يدٌ لي

ولي إخوةٌ يعجِنونَ الرّغيف بِملحِ دموعي

ويرمون لي

ويرمونني

وإذا ما نظرْتُ ضلوعي

رأيتُ جراحاً كمرآة

ووجهَ يسوعَ يضيءُ عليَّ،

ونحلَ الشروق

ووجهاً عليه الصلاة

كأنّي أموتُ

كأنّي وُلدْتُ

كأنّي أميرُ الحياة

الرقصة الأخيرة في بيروت

(إلى حسن، المهجَّر من فلسطين، المهجَّر من سوريا،
المهمَّش في بيروت، والراقص في الهواء)

أدورُ

على الكلماتِ

فلا تتفوّهُ طريقاً

وحَولي بيوت الصلاةِ

تغوصُ بِرمْل الفناءِ

تؤجّرُ عُريَ الديانة سرّاً

تدخِّن شيئاً

وتَعرِض شيئاً

ولم تكُ شيئا...

بعثتُ الغراب يحلّق فوق الدماءِ

فأنهكه الحزن واكتأبا

فهوى،

بعثتُ الحمامهْ

فعادت ومن خيبةٍ في مخالبها

يتدلّى الصدى،

سكتُّ طويلاً

وبيروتُ تشربُ روحي برونقها

كالحساءِ،

سكتُّ طويلاً

جررتُ حجارة جسمي

كعصفورةٍ عاندتها ذئاب السماءِ

فقلت لنفسي:

أراقص رقصي

وألفظ نَسْمةَ وغدٍ تكاثر في أوكسجين المدينةِ

قلتُ

أدلّي فراغي

لتصعد أنشودةٌ من ضياعٍ

بلون دمائي

وأولد من سماءٍ

تكون سمائي

لعلّي أراني جديداً

لعلّ تُرافِقُني خطواتي

وأحلمُ عند المساء

وقلتُ:

أراقص دمعتي

وقلتُ:

أراقص صرختي

أنا المنهَكُ المتردّدُ

وأُلقي دمائي قصائدَ

فوق الحصى

وألقيتُ جسمي

شراعاً أخيراً

ودرتُ هدوءاً

يلّفه عرسُ الشقاء

ودارت ملائكُ حولي

وفيّ

وألقيتُ مِلءَ فمي

ووقفت وقوفي الأخيرا

تدلّيتُ فوق العدم

وفوق قبورِ الشعوب الأسيرة

غادرتُ بيروتَ

أحرقتُ أوراقَ ذلّ الإقامة

وسجني القصيرا

وإنّي أراقص غربتي

وإنّي أموتُ...

وها الآن أحيا...

إليكِ فلسطينُ حبٌّ الرجوعِ

إنّي أراقص رقصتي

على الحافّة الواسعة

إنّي أطيّرُ صرختي

من الشرفة السابعة:

حرّيةٌ...

حرّيةٌ...

حرّيتي الشاسعة

شبه فوق الصليب

وإنّي أُشابِهُ وجهي

أمام جراحِ الغريبِ

كما اللهُ يشبهُ ذاتَهُ

فوق الصليبِ.

وأُشبِهُ قلبي

إذا عَرَفَتْ كلماتي الضَّياعَ

وعادتْ كحبّةِ وهجٍ

كعنقودِ عُمْرٍ

سعيدِ.

أنا مَنْ أنا وأنا لكِ حين

أُزوِّجُ رغبَةَ روحي بنجمٍ شريدِ،

فيغرَقُ صوتي بِضَوءِ الذُّهولِ

ويَغْمِسُني الحبُّ

في ضوءِ جُرحِ الشهيدِ،

فكيفَ يعاندُ قِنديلُ عَينَيَّ

شُعلَةَ وجهِكْ

ولا تُصبِحينَ علامةَ عُمري الوَحيدِ؟

نعم، أُشْبِهُ الأُغنياتِ

زمانَ ينادي الأمامُ كِلَيْنا

ويهبطُ ذاكَ الغمامُ عَلينا

وتجمعنا كِسرَةُ الحبِّ

عنْدَ المغيبِ.

أمام العرش

نصبتُ جراحي أمام العرشِ

وأشعلتُ نارَ انكساري

وكان جمالكَ مرآتي

فصرتُ أنا لكَ مرآةً

وحبُّكَ صار دَواري وداري

... وعرشي

تجيءُ الجهاتُ إليّ

يجيءُ الزمانُ

ربيبُ الصواري

ويغدو الغروبُ شروقاً

أمام يديَّ

وتُخبِرُ كلُّ الأسماءِ أسماءَها لي

وأصبحُ شيخَ انتظاري

فهل

هل أصيرُكَ نوراً

وخمراً بقلب الجرارِ

فأنتَ الأنا في أنايَ

وأنتَ انكسارٌ بدا

في جداري

فقلْ لي متى

متى يشرب الحبُّ قلبي

ويخطفني لكَ

هديلُ النهارِ

لعلّي أصير أنا

ولعلّك تطوي

شراعَ البحارِ

كن أنت

قلتُ: يا حبُّ

نادى: يا أنتَ

أردفتُ: إجْعلني شبهَ الله

نادى: كُنْ أنتَ

لكنّي جرحٌ في الترابِ

قال: اللهُ في الجرحِ

آهٍ، يا حبُّ، آهِ

يا جنونَ السما

يا حكايا المدى

يا زِلزالاً يُرجِفُ العَدمَ

يا رياحاً تنادي جناحَ المساكينِ،

يا طائراً مُحرِجاً خوفَنا

يا شوقاً إلى المستحيلِ

تبلّلَ بالندمِ،

يا عَصِيّاً على عقلنا

يا جرحاً لنا لا يطيبُ

تضرمُ الوعدَ في شُهُبِ الكلماتِ

وتغيبُ

يا جحيمَ الوعدِ في ملكوتِ الندى

أَشعِلْ روحي

لأكون.

منفى

معاً نتسلَّقُ المَعْنى

منفًى إثرَ مَنْفى،

لا ينامُ لنا اشْتِهاءٌ

لا، ولا وجعٌ لنا يَفنى.

لنا جَسدانِ

من حبٍّ جميلٍ

وانتظارٍ لاجئٍ في الشمسِ

لا يغفى،

وفيكِ ينامُ ضوءٌ يشتهيه دمي

يُهَدْهِدُ جرْحَ الوقت

لكي نشفى

ووجهي

يا جواباً شارداً في وردتي -

شغَفٌ يلاحقُ غامضاً في القلبِ

يجذِبُني

فأشقى

كأنّ العمرَ نَجمانِ

من وقتٍ

ومن حبٍّ

نجمٌ يهجُرُ الجسمَ

ونجمٌ شارقاً يبقى

إشراق ورغيف

وفي عينيكِ إشراقٌ خفيفُ

يشيرُ إلى بداياتٍ ويرحلْ

وهذي الأرضُ يسكنها نزيفُ

لنولدَ نَجْمَتَيْ حبٍّ وأجملْ

لنا نبضُ الأغاني في دمي

ولنا هذا الرصيفُ

وقلبٌ يشتهي ضوءًا ويسألْ

متى يدنو الصباح متى،

وينتصرُ الضعيفُ؟

فحقّاً حبّنا معنى للا معنى،

وحقّاً أنّ هذا العشقَ يشفي

ولو أنّ لجرح الأرضِ

قلبينا رغيفُ

فوق الصليب

كلّ الحكاياتِ أقمارٌ على ثغرها

فَلْنُشعلْ أقمارنا من بِدئها:

في يدي تسكن عصفورةٌ

كي تشربَ الضوءَ من جُرحينِ

في الكلمات

وتُخبرَ أنّ للأمطارِ فوق الحصى أنشودةٌ

كي تدُلَّ الرغبةَ عند حزنها

إلى الأغنيات

ها أنّني أصنعُ شعراً لدمعتنا

من عتم نجمتنا

فالحربُ صارت دوارًا في دمائي

وموتًا يأكل الشرُفات

كم غدونا غرباءَ

كأسرابٍ أضاعتْ طريقَ الدفءِ

أو سقماءَ

كَدُوْرِيّ وحيدٍ وحيدْ

قد غادروا كلُّهم

الناسُ والحجرُ

الحبُّ والقمرُ.

محاصرونَ بلا أشكالنا

هَهُنا،

لم يبقَ شيءٌ لنا

لا سكنٌ يَعِدُ، لا سفرٌ يصلُ

لي بيتُ شرّدني ليلاً ومزّقني،

كلّ المنافي تنادي

والجراحُ تقيم بي

ولا ترحلُ،

والجوعُ يأكلنا

في ظُلمةِ الجُلْجُلات

يا ليتني قمحةٌ

يا ليتني أؤكلُ

لو أنّني خبزٌ

لوزّعتُني؛

يا ليتني كسْرةٌ.

يا ليتني نغمةٌ في الريحِ

لو أنّني جرحٌ

لغنّيتُني،

يا ليتني طعنةٌ.

يا ليتني جمرةٌ في الصبحِ.

لو أنّني شمسٌ

لأشرقْتُني،

يا ليتني نجمةٌ.

لو أنّني عاشقٌ

فوق الصليبِ

لمات الموتُ والعتْمُ في موتي

وصرتُ حبيباً في الحبيبِ

فقطْ لو أنّني حبٌّ

كالحبِّ الذي صارعَ فوق الصليبِ،

فقط،

لكنّني...

لست إلاّ عاشقاً

ملكاً فوق الصليب...

نـهد

هنا

في فمي

أبحرَ الملكوتُ

هنا

وَلَدَتْ شفةٌ وردةً ضائعة

وهنا

متُّ كي ألمس النجمة السابعة

فوق نـهدِكْ

هنا... آه

هنا عُدتُ شاعرا

ورأيت على الجسم آلهةَ الضوء

والغربةَ الدائرة

وجمحنا

وعرَجْنا على العرشِ

والعرشُ بحرُ

وكلّ عناقٍ لنا موجُ

وكلٌّ اشتهاءٍ شراعٌ

وكلٌّ اكتفاءٍ

رماحٌ على الخاصرة

هنا

في فمِكْ

أشرق الوردُ

هنا عَرَفَتْ وجهَنا نجمةٌ

مائلة

وهنا عشتُ

كي أصبح الخمرةَ السائحة

فوق نهدكْ

هنا... أهْ

هنا رقَصَتْ

آلـهة

دموع العصافير

للعصافير دموعٌ ساكنَة

لا تراها الذكرياتْ

تجلدُ الروحَ فتنفكُّ السماءُ الداكنة

دمعةً في الأمسياتْ

فِلَسْطينُ اسمي

"إلى علي سعد دوابشة"

إلتقَوا فوقَ ذاكرة اسْمي

فإنّي مواعدُ

واسمي عليٌّ

كان نَوْمي خَفيفاً كَحُبٍّ

فأضرموا نار حقدٍ بحقدٍ

وطارت عصافير جسمي

وعادوا كما بدأوا

خائفين السنابلْ

فمن عادة الأرض في بلادي

أن تقصّ حكايةَ جسمي

وحبّة قمح فقيره

لقصّةُ موتٍ صَغيره

تشعّ وتفنى لينمو مُقاتِلْ

حرقوا الرضيع

جمعوا على غده الحريقَ

ثقبوا يديه بشوكه

صبغوا البهاءَ بعتمة الحقد العميقْ

"حرقوا الرضيع"...

حرقوا الرضيعَ

وشرّدوا تلك المواعِدَ

لكي يبيدوا فيكَ ماردَ

ثمّ قالوا: أنتَ حاقدْ!

حرقوا الرضيع...

حرقوا الرضيعْ

حرقوا قماطه والطراوةَ والحمامْ

تركوه في نارٍ بلا شَفَقَه،

وقالوا: أحبب هذا السلامْ!

حرقوا الرضيع...

حرموه قريته الصغيرةَ

عند صرخته الأخيرةَ

كي يقولوا: لا فلسطينْ

عَلِيٌّ أنتَ يا كلَّ عَلِيْ

يا مُغْمَضَ العَيْنَيْنِ والأَحْلامِ

إنَّ الفَجْرَ آتٍ،

لا عَتْمَ الظُّلّاَمِ باقٍ

لا، ولا عَبَثَ الأَوْهامِ

فها المصلوبُ قام وشعّ رغم "الانتقام"

تلك النّار

وماذا بعدُ يطلب حبُّنا ماذا؟

...

وأعطيْنا كَبْدَيْنا النُّسورَ لعلّها تلهو

وننفخُ نحنُ تِلْكَ النّارْ

وفوقَ صَليبٍ تَرَكَتْنا أَيدينا

لِغَمامٍ

لنعانقَ الحبَّ الإلَهَ المشتهى

بِيَدٍ،

وَبِالأُخْرى نعانق بيننا

وَجَعَ النَّهارْ

ولد مرميّ على الشاطئ

تركنا بلادًا

قصدنا بلادا

وأمّا بلادي ففي وجه أمّي تنامُ

ليحمي إلهُ الحنانِ الشريدا

صعدنا على مركِبٍ والعذابَ

وفي وجه أمّي توسّع ليلٌ

تراجعَ صوتٌ

وصار أبي في البعيدِ الغيابَ

رحلنا

وهاويةً كان ذاك الرحيلُ

رمتنا عميقاً جريمةُ حقدٍ تمادى

هو الحقدُ عتمٌ أبابيلُ

قُلْ هُوَ حقدٌ أحدْ

وحقدُ زعيمٍ تهوّس أنّه صمدْ

وحقدُ أخٍ إنْ حقدْ

وحقدُ العماماتِ في العُقَدْ

وكلُّ القلوبِ التي لا ترى كُفُأً لأناها أحدْ

رمانا دُجىً أغَمَدَ الموتَ

في قطنِ هذا الجسدْ

وقالوا:

وما شأننا؟

فما هو إلاّ ولدْ

وما ولدٌ ينطوي في برّادات العددْ؟

***

ولدْ

ولدْ

ولدْ

وقالوا

هو الطفلُ والطفلُ شيءٌ صغيرُ

قليلٌ بدا من جسدْ

جسدْ

ولدْ

عددْ

غضبٌ،

غضبْ،

تهاوى الولدْ

ظلامُ اليدينِ

تهاوى الولدْ

نزيفُ الشهادتينْ

تهاوى الولدْ

صليبُ المسيحِ علا مرّتينْ.

حَضَنَ الرملُ

هذا الولدْ

***

تركنا بلادًا

قصدنا بلادا

وأمَي حمتني

وغاصت

ومن خوفها فتّشت صدرَها

بحثت عن هواءٍ

لتعطيني

وعن آلهاتٍ

لتحميني

وأمّي أحبّت كثيرًا

وضاعت بعيدًا

لتقطفَ أقدارَنا من ضلوع السماءِ

وتعطيني

ومن خوفها فتّشت عن هواءٍ

وضاعت

فأغمضتُ عينيَّ كي أنتهي في يديها

وراء جفونِ الأبدْ

فإنّي مجرّدُ

ولدْ

ولدْ

ولدْ

طفلة غارقه

مركِبُنا كان صغيراً والمدى يرتعدُ

وكانت الأحداثُ

أو كأنّها ما كانت

وكان ضوء عمرِنا يبتعدُ

***

نازحةٌ

من وطنٍ ملءَ الذبيحه

ملء صرخةِ الفضيحه

في دمي،

نازحةٌ

من وردِ نصلٍ عائدٍ

من ضجرٍ،

أبحثُ في ظلّ ذراعٍ باسقه

عن قمرٍ

يفتحُ ضيق النافذه

وها أنا ساكتةٌ

تعبر فوقي سُفُنٌ من عائلاتٍ غارقه

وها أنا تائهةٌ

أبحثُ عن أمّي

كأنّي ظلُ موجِ الأمّهاتِ

أو كأنّي نقطَةٌ

والبحر أمّي النائمه

ماءٌ وماءْ،

كم لا هواءَ في هذا الماءْ

ماءٌ وماءْ

أهٍ، كم من جدارٍ بين عَدْوِ الدم في صدري

وأنفاس السماءْ

لا لست أدري من أنا

أو إن أنا كنتُ

إنّ النهايات تراني

إنّني أُفْلِتُ حَبْلَ الهواءْ...

أينَ يدُ الله لنا...؟

أين أنا منّي أنا...؟

أغمضُ جفنَيَّ...

أُ...

أمّي

إنّني

خا

ئـِ

فـَه

أُمّـْ...

مْ

مْ

مْ

نجوم

نجومٌ جريحةٌ

تهاجرُ داخلَ داخلي

تُكَوْكِبُ أوجاعها بي

قصائدَ

وتأمُلُ.

أنا شكلُ قصّتِك الساكته

شِبْهُ عيسى فوق الصليب

أفتّشُ خاصرتي عن سما ضائعه

وأنتِ تحبّينني

إلهاً يجيد الغنا

هائما كالشعاعِ،

وأنتِ المدى،

تهربينَ كشُرفةِ فجرٍ مغادرٍ

كنارٍ تُعَلّمُ فنَّ الفناءِ

لدرويشٍ

مغامرٍ

وترحَلُ

لنفرحْ إذاً

ونمضِ معاً،

فلنا الحبّ والله،

والحبّ والله صوتُهما شهرزادُ:

لأجلكِ لا ينسَيان البدايةَ

ولا يُنهيان الحكايةَ

نعم

لهذا الجراحُ نجومٌ

عميقةٌ

عميقةُ

تعانق داخلَ داخلي

وأعمقُ

عتاب

كفى أيُّها القلْبُ

المُضَرَّجُ بالحُروبِ... وبِالحروبِ القادِمَة،

مزَّقْتَني كالأُضْحِيات.

كفى أيُّها الحُبُّ

المُعَفَّرُ بالهُروبِ وبِالبلادِ القاتلة،

أشْعَلْتَني كالأُمسِيات.

كفى أيُّها الكُرْهُ

المُشَرِّدُ للدُّروبِ وللحياة العاشقة،

أرَّقْتَني كالأُمَّهات.

كفى

أيُّها الموتُ الوحيدُ

كفى

ألم تَجِدِ الحَبيبَ؟

ألا ترى أنَّ الوحيدَ

هو الخائِفُ الوحيدُ؟

وَأَنْتَ، أنتْ!

قمرٌ لنا هُوَ أَنتْ

صديقٌ يَحرِسُ القنديلَ في جُرحِ القُلوبْ

لكنَّنا يا حالِماً

يا دائِماً

يا قائِلاً: أَنْتُمْ جُنوني

للأَبَدْ

يا كاتباً: قلْ، قلْ هو الحبُّ

الصَّمَدْ

يا واحِداً،

يا أَنْتَ الأَحَدْ،

يا أيُّها الإلَهُ

عذَّبْناكَ

وشَرَّدْناكَ

وشوَّهْناكَ،

تَكوَّرْنا

وَغَيَّبْناكَ،

عَصَيْنا روحَنا،

لاحَقْتَنا

أطفأتَ مِلْحَ جروحِنا،

لكنَّنا بِالدِّينِ صَغَّرْناكَ

ولَبِسْنا قايينَ

بلا خَجَلٍ

وعاتِبْناكَ

إلَهٌ يَخْتَبِئ

وأكتبُ مِنْ غُيومِ الوَعْدِ في المَغيبِ

مِنّي،

مِنْ حُقولِ الوَرْدِ في الوَريدِ

من نهارٍ ضاعَ في وَطَنٍ شريدِ

من حِرابٍ أَشْعَلَتْ رِئَتَيَّ

من وَعْدٍ بَعيدِ

وَأكتُبُ مِنْ ضِفافِ العُمْرِ

والحُلْمِ المُضَرَّجِ

من ضَياعٍ فاحَ في قَلْبِ النَّهارِ

وَمِنْ دُموعِ اللهِ أَكْتُبُ

مِنْ جُرودٍ خَبَّأَتْ وَجَعي

وَأكتُبُ مِنْ حُدودِ اليَأْسِ

بَيْنَ المَوْتِ والنِّسْيانِ

أكتُبُ عَنْ حُفاةٍ يَرْكُضونَ

وعَنْكِ يا امرأةً تُفيضُ الضَّوْءَ كالنّارِ

وَأَكْتُبُ عَنْ آلِهَةٍ يُرَتِّلونَ

في جِسْمِكِ العاري

وحيداً

وحيداً كصبّيرةٍ

بين كأسي

وغيمةِ جسمِكْ

أذوّب سكّرَ

روحي

بقهوة صوتكْ

لقاءٌ جريءٌ تعالى

إلى جهةِ الحبّ هجَّرنا

وتسامى

وبين ضياعي وجِلْدِكْ

تداعى

فأنتِ لمْ...

أنا لمْ...

ولمْ أعرفِ الحبّ في وجهكْ

أنا القاتل الضحيّه

كما والدايَ

أردّد موجَ الجدارِ

أخافُ الحنينَ القويَّ

ويخشى دمي زمناً

بمسارِ

وحيداً كصبّيرةٍ

غامضاً كسماءْ،

لن تكفَّ سياطُ الهزيمه

إذا لم أرَ النجمَ في عينِكْ

هناك أواجه ما يشبه الموتَ

ما يشبه البدءَ

في مغاره

لعلّي أموتُ وأولد

لعلّي أصيرُ مسيحاً باسمكْ

انْتِظارُ المَوْقِف

صَباحَ المَوْطِنِ الجورِيّ

فَوقَ قُمامَةٍ حُلْوَة،

جَلْسَةَ انْتِفاعٍ كان ذا الحُكمُ،

ورُبَّ غائِبٍ فَذٍّ

يَسُبُّ وَيَشْرَبُ القَهْوة

وَيَنْسى الـ..."لا"...

كَعَبْدٍ أَذَلَّهُ الظُّلْمُ.

أَخي. يا أَنْتَ يا غالي

تُضاءُ الشَّمْسُ بِالقُوَّة

يُعادُ الحَقُّ بِالنَّخْوَة

فَفي العَدْلِ الإلهِيِّ

انتظارُ المَوْقِفِ الجِدّيِّ...

فجَرِّدْ صوتَكَ الثَّوريَّ

فَوْقَ سِياسَةِ المَتْجَرْ

وقاومْ كالرَّبيع،

وكَالرَّياحِ تُقاومُ الخِنْجَرْ

مهاجر

وانا المهاجرُ في دياري

لي شوقُ أشرعةٍ

وبحرُ نجمتين

تتوجّعانْ

وانا المحنَّطُ في جداري

لم تصنعِ الأمواجُ من خشبِ الضلوع مراكبَ

والضوءُ أمعن ضائعاً

في جثّتي وغباري

وأنا المواطنُ

أَشْتَكيني إذْ يخدّرني انهياري

لم أصنعِ الشيءَ الذي أحببتُ

لم أفعلْ

عبدتُ فِراري

أغرقتُ خوفي منهُ في دمع الإناثِ

وكم أصارعُ دون كيشوتَ

أو أغادرُ من يديَّ الى يد الألفاظِ

كم أنّي هباءُ

أنا الهروبُ

انا المسافرُ في دواري

سنرحل

سنرحلُ

نحلفُ أنّا سنرحلُ

ما أن تعود النصالُ إلى قصر قاتلنا،

قاتلُكم،

سوف نرحلُ

لا نشتهي أن نكون هنا

سنغادرُ فوراً إلى حيث لا نحن أنتم

ولا نحنُ نحنُ

كنّا هناكَ نعيشُ

ظلالاً تشابهكم بغيابها

وجموعاً تحيّي جريمة قائدها

قبل أن يشتهي سَكْرةً من دماءٍ

وشارةَ نصرٍ تشابه جمجمةً

فوق تلّ الضحايا

سنرحل

كي ينامَ دمُ طفلةٍ

ساهرٍ فوق عتبةِ دارٍ بعيده

ويُنهى تفرُّج صمتٍ ملأ السماءَ

أمام مذابح مَن عبدوا الأنبياءَ

نعم،

سنرحلُ،

كلّ مصلوبٍ بينكم صالبُ،

فسنرحلُ

نجمع أفواهنا من ترابٍ

وهبتُم

ونرفع أرواحنا من شِعارٍ

سكبتم

ونلبس أشكالنا في الظلامِ

ونرحلُ

ثمّ نعمّق الرحيلَ

ونرحلُ

ونبكي على

موتكمْ

و... ونرحلُ

لم يكن ولم نكن

في البدء كنّا

لم نكن.

في البدء كنّا

وجهان يجتمعان

أو يختبئان

لمّا أتانا حبُّنا

غفلةً

ثمّ توهّجنا شموساً

وكِلانا خبّأ الآخرَ في الوجهِ

ومال الوقتُ نحو الاشتعالْ

زهرةً

واليوم صرنا نشتهي

أن تشتهينا النارُ

حبّاً لا يزولُ،

أنت تعالى وتعالَ

يا إله الحالمينَ

المستوين على عرشٍ لا يحولُ

إنّك مَنْ يجمعُنا فوق السحابِ الآنَ

أنتَ الرساله

والمرسِلُ

والرسولُ

شيء

فَعَلَتْ عيناكِ

شيئاً غامضاً في الوردةِ

شيئاً كوهجٍ يلتقينا في الجراح

عين في عين

عينٌ أتتْ

عينٌ رأتْ

عيناً

فغطّى نجمٌ غُربتنا

ابتعد قريباً

كن قريباً... ابتعدْ

هزَّ خصري

بالقُبَلْ

وابتكرْ ليلاً يضيءُ النجومَ المطفأه

صبَّ هدايا الشوق في يديَّ

وارتحلْ

هزَّ خصر السهر

تتهاوَ تمرة الوقت

هزَّ كلَّ نخيل الحبّ

علَّ أزيز الجوعِ يغفو في دمي

إكتملْ

هزَّ الصدى

أشْعِل بجسمي بساتين الصبا في جسدينا

وفي اسمي

وابتعد

منّي قريباً

بلى اكسِرْ شوكةَ الموتِ

التي تشْتكي بيني وبيني

بالفناء الجميلِ بين أشعارِ يدينا

بلى حزَّ المدى بين فمينا

أَحِبَّ واشتعلْ بي

كي تكون الأميرَ

كي تكون لي الأخيرا...

كان أو ما كانْ

أميره،

فاقتربْ،

كنْ حكايه

كنْ أميراً

وبعيداً بعيداً

اقتربْ

فوق جسمي

مصالحة

مَنْ

مَنْ يصالح غربتي مع شوكةٍ في الوقتِ؟

تقول الأرض

تقول لي الأرضُ

أنّي لها

ويقول لي العشب أنّه لي

عندما أرحلُ

تجمع الأرضُ صورة أعشابها

من عيوني

لتقرأ شِعْرَها

مُهَجّر

بلادي لو أشاهد عرسَك اليوم

أموت بلا دموعٍ أو ألمْ

ارتعاش

يجتاح سرُّ اللهِ جسمي حين يرتعش

والضوءُ في عينيك يسكب شكل عطرٍ لا يُرى

لعبٌ في الحارة

خرجت لألعب مع أخي

أتنفّسُ عينيه مع شمسنا

رمتنا الطفولةُ

على طريق خفيفٍ

فدمدم شيءٌ

كأنّه صخرٌ

كأنّه كارثة تتقدّمُ

أو غابة من بكاء عنيفٍ

...

ها أنا في مكانٍ أنادي يدي

أو أخي

أو يسوعَكَ

أو أيَّ شيءٍ لطيفٍ

ولا مَنْ يراني

ولا منْ يرى لِمَ غادر صوتي

ولا منْ يرى العتمَ في عيوني

وبردٌ يهزّه جسمي

ولا من يرى الموت شبها خفيفا

يحدّق بي من زوايا جراحي

وفوقَه طبيبٌ كزيتونةٍ

تختفي في المشافي المريضةِ

والحجرةِ التائهه

ها أنا قادمٌ

أمّي

فمدّي غيابَك

عاليا

كي أصيرَ

الهواءَ المضيءَ

كأنّي سماءُ خريفٍ

قذيفه

قذيفه...

ويرمي المساءُ عليَّ جراحي

أُطلّ إلى القاع

قاع الجريمه

وأشهدُ أمّي تزيّن يوماً

يشابه صباحي

وأمّي لم تأتِ أعجوبةً

أو تحطّم أبواب الموتِ

بل أدمنت ضلعها

في الرماحِ

وأمي تحضّر لي أغنياتِ المساء

مكانَ ارتياحٍ

مكاناً بلا حاكمٍ يغنّي

ويذبحنا كالأضاحي

هناك أسافرُ

لا شيخَ لي أو كاهنَ

ولا ترّهات الأكاذيب

كلَّ صباحِ

جوع

أنا حقلُ خبزي

وجوعي يجوع إليَّ

أنا حقل خبزي

تتبّعتُ جوعي

دعاني إليكَ

لصلبان حبّي رسائلُ جامحةٌ

وبريدُ يديّ

وكلّ جفون النساءِ

مواجعُ تشبهني

وتضيءُ عليَّ

وأمّا المساءان في ناظرَيها

فتفّاحتانِ لروحي

تدلُّ عليكَ

وإنّه قلبي صغيرٌ

يناورُ في عالمٍ يتعرّى

على شفتيها

على شفتيَّ

وإنّي قريبٌ

وإنّي بعيدٌ

وقلبي بِحارٌ تنادي شراعي

وملحٌ

يضيءُ يديَّ

وأخشى احتراقاً يطيلُ مماتي

على صدرها

وأخشى ارتجافاً وآلهةً

تتصيّدُ شوق الفراشات

فيّ

وفيها

وعند انفجار نجومِ دمائي

تسابقُ أنفاسُنا الأُغنياتِ

إليكَ

بلى إنّها حَقْلُ حبّي،

تآمر جوعي عليَّ

دعاني زماناً إليها

فأهديتُ وجهي وأهدَتْ

صهيلَ جنوني

إليكَ

أنا حقلُ خبزي

وجوعي يجوع إليكَ

أنا حقل خبزي

تتبّعتُ حبّي،

دعاني إليّ

إلى أين نذهب؟

دالْ، ميمْ...

يتصبّبُ،

أو يتغرّبُ،

آهِ،

إلى أين نذهبُ

كي لا يرونا

إلى أينْ؟

لم تكن أرضُنا أرضَنا

لم تكن زهرةَ العطرِ

كانت خناجرَ ملحٍ

على جرحنا

***

كم قتلتِ الطفولة فينا

وأغاني الغريب المُشَرَّدْ

كم أسرتِ الإلهَ

وكسرتِ الجباهَ

كم أكلتِ الأسيرَ المُعَمَّدْ

بلادي

يا بلادي التي انتحرتْ كالمساء

في مراياك كم أصبحَ الموتُ أطولَ

صوتُ مذبحتيكِ يدقّ سكوتَ السماء

وبكاءُ القواربِ أثقلَ

أنتِ، أنتِ يا يهوذا المساكينِ

أضحيتِ أشكال قتلٍ

وصارت ضحاياك أكملَ

كم صليبٍ زرعتِ لحبّي

والحبُّ يُصبحُ في الصلبِ أجملَ

***

حاءْ وباءْ...

آهْ

وأنتِ

يا حبيبةُ والموجةُ الساكتةُ

بيننا لوزةٌ لونُها نافذةٌ

بيننا يشتهي اللهُ جسماً

يشبه الحبَّ فوقَ شفاهكِ

بيننا... بيننا سورةٌ مائدةٌ

***

يا بلادي

يا بلادي التي لا تراني

كم ولدْتُكِ باسمي وكمْ

كمْ خدعتِ بأسمائك الوترَ والأغاني

هادرٌ قتلُ طفلٍ

صامتٌ ذبحُ قُبْلَه

حلمُنا!؟

لم يكن حلْمُنا حلْمَنا

لم تكن أرضُنا أرضَنا

لم تكن زهرةَ العطرِ

كانت خناجرَ ملحٍ

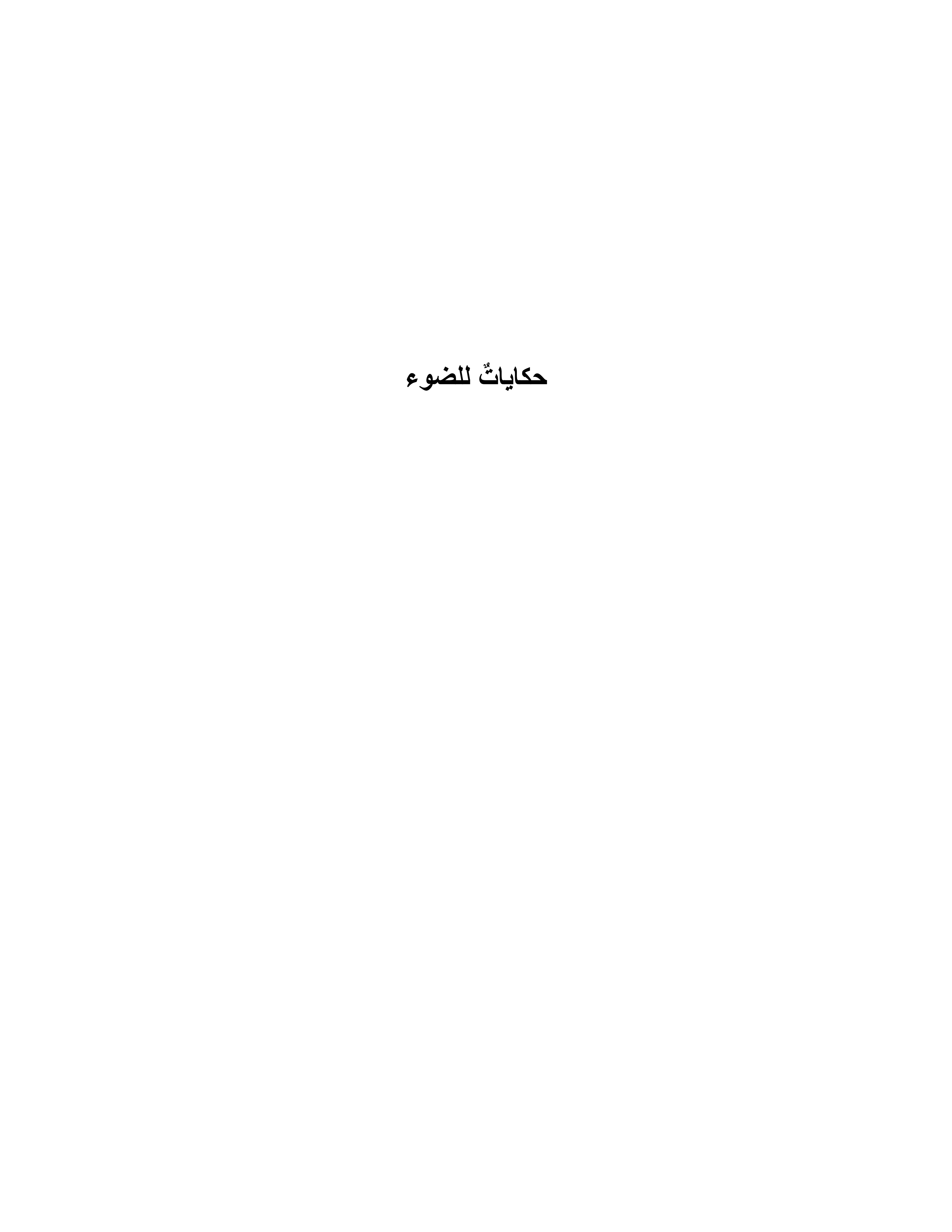
على جرحنا

آهْ

إلى أين نذهبُ

كي يقتلونا

إلى أينْ؟



حكاياتٌ للضوء

أنت الأميرة

... وأنت الأميرةُ،

فكّي ليَ الريحَ

فوق السريرِ

لكي أفرد الأمنيات الأسيرةِ،

لكي تلدي الصبحَ حولي

أو الضوءَ

أو أصبحَ الشامَة الشريدةَ

عند شفاهكِ

وخطّي لي الشمسَ

علّي أموتُ ضياعا

وأحيا حديقةَ

أو أفهمُ الحبَّ

في أحاجي المنامِ

وَكوني ليَ الضلعَ عائدةً

أو تجلّي ليَ الملح تحتَ جفوني

فنغدو معاً لغةً

تكسرُ الدائره

تصلبُ الجملة الحائره

وحصارَ الجهاتِ

وَكوني لي الحبّ وحدَهْ

ولا شيء إلاّهْ

لكي ننتهي شغفاً لا

لكي نبتدي وطناً ما

فنرفعَ غربتنا مع نزاعِ المسيحِ

ونُطفئ أوجاعنا مع نجوم الظهيرةِ

مع اللهِ

مع أغنيات الحمامِ

فلا تدعيني أنامُ بلا أنتِ

يا غابةً من حنانِ

وكوني لي الجرحَ

آهْ وارغبيني

وكوني لي اللطفَ

ثمّ اشربيني

وكوني لي النهر مستعجلاً

واسبحيني

وكوني الإلهَ أو الله نفْسَهْ

وكوني أناكِ

وكلّ استعارات السلامِ

ولا تدعيني أنامُ بلا أنتِ

يا دهشةً في الزمانِ

وكوني ليَ اللّا

وكوني لكِ اللا

وكوني كما أنتِ أنتِ

وكوني لعالمنا

وكوني بداية أنتِ

وأجنحةً للمكانِ

ولا تدعيني

ولا تدعيني أنام

هو الحب

هو الحبّ، يخلقنا جسدَ الله، يصلبنا،

أو يعير البدايةَ جسمًا جديدًا،

لعلّكِ فيّ تصيرين نجمه

لعلّي أصير أنا

ونصير هنا

حكاية سُكّرْ

هو الحبّ

حبٌّ يشرّد أرواحَ،

حبٌّ يطيل الصباحَ

على دمعة الوردِ

الله في اللهِ

أمّا أنا فغريباً ألاقي الغريبَ

... قليلاً

وأُصبِحُني

هل أكون الحبيبَ الذي خارجي

هل أكون الطريق الذي ينتهي في الطريق

وهل حبّنا يَجْمَعُني

أو يُشرّدني؟

***

شاء ضوءٌ غريبٌ أن يصير الحبيبَ

وأن تنتهي غربة السجن بيني وبيني

أحبّك من بدء وردتك الصامته

فوق صدري

وحتّى نهاية صوتك فوق السريرِ

أحبّك نفْسي

أحبّك جسمي

وفي جسمك المترامي

أحبُّ اختباء الحريرِ

هنا خلف هذا الدوارِ

وفي كلّ أرضٍ لنا تائهه

كم أُحبُّ حمام السلامِ

الذي يتفتّح نافذةً نافذه

في جداري،

رسولاً منَ السمَوات المضيئةِ

في عينِكِ الشارده

كم برتقالٍ ينامُ

على أفقٍ في جراحي

ويشعلُ في حبّنا حبّاً

أو هو يشعل فينا

إلهَ الصباحِ

أحبّ الدخول بيني وبين ضلوعي

أفتّشني عن طريق البراري

عن المشتهى

عن عناق انكساري

أحبّك أنت وألوان غربتنا

والغماماتِ تحت جبينكِ

ومن أجل صوتِك أشعلتُ حبَّك عشرين أسطورةً وقصيده

وتهْرُبُ منّا النهايةُ حتّى نرانا غزالاً

وتصعد منّا البدايةُ حتّى نكون بحاراً

ونمشي بنا طرباً

وأصير مدى

وأكون

أكون كما شاء لي حبُّنا

وأكون

أكون كما الله

ذاك الذي كلّمنا

وأكون

أكون إلهاً بسيطاً،

قتيلاً،

كعيسى الذي صار أنا

وأكون

أكون كمن لا يكون

كمن هو كلّ الهواء وكلُّ أغاني السماءِ... ويختبئُ

وأكونُ

أكونُ لحريتي، لي... وأكتئبُ

وأكون إذ أراكِ

فأراني السماءَ

وفرحةَ تفّاحةٍ أينعتها الأغاني

هو الحبّ، يخلقنا جسد الله، يصلبنا،

أو يُعير البدايةَ جسماً

ويُشرقُ وجهاً على قمرٍ

ويضيء الحكايه

هو الحبُّ

لا حبّ إلاّ هو

وهو الحبّ

فينا هنا

صَمَدٌ

أَحَدٌ

والدٌ

ولدُ

وحيدان

وحيدانِ

كالتعبِ

وحيدانِ

والحبُّ

مركِبُ

أفتّشني خارجي

أفتّشني داخلي

وأسالُ

نهراً عن الضجرِ

وأسألُ عينيك

عن أجراسِ العِنَبِ

لا بئرَ في بئري

لا ماءَ في مائي

ولا أمَّ في شِعري

ليولدَ مَنْكِبُ

وحيدانِ

وحيدانِ حتّى الهباءِ

بوسْط الصباح المعذَّبِ

وحيدانِ

حتّى نزاع الأغاني

لا الجسرُ جسرٌ

لا الحبُّ حبٌّ

ولا القلبُ كوكبُ

في برتقالِ جراحي سماءٌ

وحبٌّ لِحبٍّ

يَلِدُ ويولدُ،

ويختبئ الطفلُ تحت جفوني

لئلاّ يضيعَ في الشغَبِ

دمي غابةٌ من نجومٍ

وأنتِ شعاعُ اللهبِ

وحيدانِ

أنتِ جريحةٌ

وانّي لَمُتْعَبُ

وحيدانِ

وحيدانِ

كالتعبِ

وحيدانِ

والحبُّ مركِبُ

وردة

وردة على ضفّتينِ

وجسمك نهرٌ

قمر يشبه الشوق

قمرٌ على شفةٍ

ووحدتنا قصيره

وكلامنا حبٌّ يطيلُ حكايةَ الوردِ

من أيّ أبجدِ

يبدأ البِدءُ

أمِن قمرٍ يغازلُ

أبيضَ النهدِ؟

كم زفّنا جسدٌ إلى هذا القمر

جئنا من الأحلام في وسط الرمادِ

من وردةٍ برّيةٍ أعلى وأعلى

من دمي

جئنا من الشوق الذي خبَّأنا

حبّاً خفيفاً في جبالٍ من سَهَرْ

جئنا من الضوء يهدهدُ

أوّلَ البرد

لا حبٌّ إلاّ الحبَّ

أمّا نحن فالغرباءُ،

لم نلمحْه، لا، إلاّ غريباً،

هو ضوءُ نجمتنا

هو عطرُ فِكرتنا

هو عند إغراءِ الشفاهِ

مدىً نراهُ ولا نراهُ،

يفرُّ كي لا نستقرَّ

ولا تنامَ الأرضُ في أقدامنا

كم زفّنا جسدٌ إلى هذا القمر

شفتاك ترتعشان

والحبُّ يراوغ قلبَنا،

يتوهّجُ أفقٌ بعيدٌ عائدٌ

من برتقالة روحنا،

إنّ المساءَ بريدٌ من شهوةٍ

ومن المدى في سِرّنا،

قولي بدايتَنا

فأنت الوعدُ يأمرُ بانخطافاتِ الفناءِ

على شواطئ جسمِكِ

أو جسمنا

كم زفّنا جسدٌ إلى هذا القمر

الكون؟

ما الكون الصغيرُ؟

ما الموتُ؟

كلّ سماواتٍ ترتاحُ في تفّاحِ حبّكِ

تفّاحةٌ أخرى هنا وأموتُ،

آهٌ، اجعليني قربُكِ التفّاحَ

حتّى أغدوَ البحر الذي منحَ اليمامة غصنَ زيتونه،

وأفاجئَ اللهبا فأكلّمَ اللهَ

لأمنحَ قفزةَ الحرّيةِ للماءِ تحت الصخرَ،

أو لأدلَّ بحرًا كيف يصبحُ كائنانِ وكائنٌ

كي يعبرَ الحبُّ البسيطُ

ويسكنَ العشقُ المهاجرُ روحَنا...

صيري دمي كي أصبحَ تفّاحةً

نضجت لتقطفها العواصفُ والجنونُ

ما زفّنا جسدٌ إلى هذا القمرْ

قمرٌ على شفةٍ ووحدتنا قصيره

غنّي

ولا تتأخّري

غنّي

ولا تستعجلي

قليلٌ من الحبّ

قليلٌ من الحبِّ يُفرحُ شراعي

فتسكَرُ روحي وكلّي اشتعالُ

وإنّي الرحيلُ الذي ينتهي

برحيلِ

وإنّي الغريبُ الذي يكتفي

بشعاعِ

وتأتين عاشقةً

فيك سرٌّ جديدٌ يحيط بسرٍّ يدومُ،

وتأتين نائمةً في كتابِ

وتأتين عاصفةً

بيديها صواعقُ من حضرةٍ

أو غيابِ

وإنّي فتحتُ شراعَ المدى في المدى

ومضيتُ متمرّساً بيننا

ورأيتُ

بعيداً،

قريباً من الضوءِ،

وجهاً يجنّ به الاحتفالُ

بعيداً،

قريباً من الجسمِ،

أصعد أغنيةً من نجومِ

أنا نرجس الأرضِ يبحث عن

وجهةٍ من سماءٍ تراها المياهُ

لها وجهُ عاشقةٍ

ومسيحٍ ينازعُ حتّى يكونَ

وها أنّنا نختفي

أَو نموتُ معاً ههنا

كي نراها

وها أنّنا نكتفي باشتعالٍ يضيء

الشفاهَ

وها أنّنا نحتفي حول ضوءٍ قديمٍ

قِدَمَ الجمالِ

قليلٌ من الحبِّ يدفع حبّي إلى الابتداءِ

المزيد

أغوص مزيداً من القلبِ

كي أنقذَ القلبَ من صخرةِ الاكتئابِ

وكم صار صبحي جميلاً

وكم كان موتي طويلاً

بلا ضوءِ عينيك كلّ ضبابِ

وإني تسلّقتُ جلجلةً في مهبّ الحرابِ

لكي اعرفَ البئر

في بئر وجهي

وأشهدَ للضوء وضحَ الغيابِ

أجوع مزيداً من الحبّ في شَفَتَي

وبلاداً من الله فيكِ

لعلّ يلوحُ الصباحُ المغمّس بالأغاني

وارفَعُني نجمةً

عند ميلادِ سيّد تلك البلادِ،

وأَرفَعُني وُجْهَةً

عندما تختفي الطرقات أمامي،

وأُصبِحُني

أو أُجمِّعُني كالأيائل حول انعكاس السماءِ،

لعلّي أصيركِ

أو أترأى

أميرَ الإيابِ

أغوص مزيداً من القلبِ فيّ

وفي وعْدِ ذاك السحابِ

لأبْلُغَ آخِرَ رحله

وأوقِظَ أوَّلَ قصّه

تنامُ وتنتظر الشفتينِ

المبلّلتينِ بأحلامِ تلك الخوابي

أغوصُ بعيداً

أغوصُ مزيداً

أغوص اشتهاءَ الحبيبِ

وكم كان الصبحُ جميلاً

وكم كان حبّي ضياعاً

وكم كان حبّاً لعينيكِ عند الخرابِ

لماذا؟

لماذا أصارع هذا الوترَ

وقد عوّدتني على الموج عيناكِ

واجترح الحبُّ فينا السفرَ

لماذا أحاول هذا القمرَ؟

جميلٌ طلوع الظلامِ

بيني وبينكْ،

يضيء وهم السلامِ

بيني وبينكْ،

جميل هبوب الكلامِ

في ورد جسمكْ

وإنّي أحبُّ غموض القمرِ،

يذيبُ الرتابة في لحظتي

لأروّضَ فيّ السؤالَ

بصوتكْ

ولكن

لماذا أحاول هذا القمرَ؟

الياسمين

وهاأنذا اتصفّح ما اختبأ:

شجرٌ في يديها

وما يسكنُ القلبَ من ياسمين

وكم أخطبُ قمراً جاءَ مكتئبا

وأجمع نفسي بنفسي

وأوحّد عمري

بضوء الفراشةِ والمتعبين

وها أنذا أشتهي حفنة الظلِّ في ظلّها

أتسلّقُ تلك الجدائلَ نحو السحابِ

لأقبِسَ ناراً من الضوء في ضوئها

أو من الموج في الياسمين

وإنّي لأعترفُ لليماماتِ في صوتها

وأهدي الحديقةَ شرفةَ صمتي،

وأهدي لها اسمي لأُرْجِعَ ضلعاً إليها

فأصبحُ ما يُشبِهُ اللهَ بالحبّ فيَّ

وما يشبهُ الحبَّ باللهِ فيها

وبالياسمين

الآخرون

أنا لست حرّاً،

ولا أحدٌ حرّاً،

إنْ قُمِعَ الآخرون

ففكِّرْ بقلبِكَ إنْ كنت حرّاً

وفكّر بغيركَ إن كنت نفسَكَ

وضاعَ على الطرقاتِ المخيفة

الآخرون

وإنّي لأكتب عنهم أريجاً

لأشفى، ويشفى من الغصّة

الآخرون

وأرسمُ منهم مسيحاً

لأرجعَ طفلاً إليّ

ويرجعَ من بابلَ

آخرون

فكوني لهم لتكوني لكِ

وكنْ لعيون الأطفال نجماً

وكنْ لضياع القوارب أرضاً

يقبّلها الآخرون

وكوني وكنْ لنكونَ

فإنّي لست حرّاً،

ولا أحدٌ حرّاً،

إنْ صُلِبَ الآخرون

شهرزاد

وأدركتْ أضلعي شهرزادُ الصباحِ

وغصّ الكلامُ عنِ الملكوتِ المباحِ

فَحَوْلي سوارُ ساقيكِ فكَّ نجومَ السماءِ

وفوق ذراعي أضاءت خيولُ الرياحِ

لقد أشرق الحبُّ فيّ ومال الإله إليكِ،

وإنّك في الكشفِ سرٌّ، فكوني إليّ

وكوني إليكِ

ولادة

كم تعيرين روحك للحبِّ، أي للغريبِ،

وأنا كالوليمةِ للحبِّ والنارِ،

صرنا معاً وردةً في الصليبِ

وخاصرةً تنزِفُ الجلّنارِ

حكاية درويش

سَحاب

وَعَلَّمَني الحبُّ أن يتساقطَ

عنكِ سَحَابُ الثّيابِ...

فإنّي انتَظَرْتُكِ بَعْدَ الجهاتِ

وحتَّى نضوجِ الأغاني بشَمْسِ العِنَبِ،

فأنتِ العَراءُ الَّذي يَتَراءى فَراغَ إلهِ الذهابِ،

وَأَنْتِ اشْتياقُ المعاني لشِعْرٍ يُضيءُ

كطعمِ الشُّهُبِ،

وأنتِ طَريقُ البداياتِ،

شُروق الأُلوهةِ فوق الصَّليبِ

وأنتِ طريقُ النِّهاياتِ

مساءَ يغيبُ غيابُ الحَبيبِ.

يُعودُ السَّحابُ

يَغيبُ السَّحابُ

غيابُكِ رائِحَةٌ لحضورِكِ

حضُورُكِ أُحجِيَةٌ للغيابِ.

أنا في جفونِكِ أنشودة سائحهْ

تَراها رفوفُ الحَنانِ

وبَوْحُ الفَرَاشاتِ في هذيان دِمائي

كعُرْبونُ يَومِ الخِتامِ

وإذ يتَدحَرَجُ عَتْمُ السَّماءِ

وَأَعْجَزُ أَنْ أَرْفَعهْ

أسْحَبُ النَّار من جَنْبي لأُشْعِلَهْ.

وَهذا السَّحابُ؟

يَعودُ السَّحابُ... كَأَنّي أَغيبُ

وَجِسْمُ السَّماواتِ يُبدي عَراءَه

بَعْدَ الغيابِ.

أنا ويداك شراعان في سفرةٍ شاسعهْ

وحين أراك أرانا كما قصّةٌ رائعه

أنا طينةٌ

أنا فكرةٌ

ويداكِ وأنتِ إلهْ،

لِديني من نَفَسِ الحبِّ فيكِ

ومن سَكْرَةٍ

ومن قُبلَةٍ من حياهْ،

لنصبحَ حُلْمَيْنِ يَجْتَرحانِ الحِكايةَ كي لا نَموتَ

وأخلعَ عنّي الصحارى التي خَدَعَتْ قبل أن تشرقي

وأدخلَ بيني وبيني

وأسكنَ شوقي

لتزهرَ بي رغبةٌ مُقمِرهْ

فأنتِ حبيبتي

ليعرفَ موجُ النهارِ طريقاً إلينا

وأنتِ حبيبتي

لأنزِلَ نارَ جحيمِكِ كي أصرَعَ الموتَ في كلينا

وأنتِ حبيبتي

وأنتِ اشتعالُ الزّمانِ،

وكلُّ السَّماواتِ تُخفي لديك

صنوفَ الحَنانِ،

فأنْتِ الحُضورُ

وأنْتِ الغِيابُ

وأنتِ السَّحابُ الّذي

في السَّحابِ

يعودُ السَّحابُ

يغيبُ السَّحابُ

غيابُكِ ملحمةُ الحضورِ

حُضورُكِ أُغْنِيةُ الغيابِ

ورد الطريق

لم يغادرْ وجهُكِ الضوءَ الذي شرّدنا

لا، ولم يَخَفْ صليبَ كرْبلا

ثمّ عندما أتى الموتُ القريبُ

لم يجدْ شبهَه فينا

فتجلّتْ جلجله

كلّما نامت يداك فوق جرحي

جاءني اللهُ عميقا

واشتهيتُ أن أكونَ

عند أوجاعِك يا حبيبتي

كالنجمة المشتعله

واشتهيتُ أن أكونَ

احتمال المنارة

في عاصفةٍ مجلجله

رغبتي أن أصبحَ حُبّين

حبّاً يَسكبُ الخمرَ

وحبّاً خلفَ أمواجِ الحقيقه

فأنا بحّارُ عينيكِ ونَخْبٌ في الحديقه

وأنا أَحمِلُ بَرْقَ المِلْح في جِراحي

كالعيدِ يَحمِلُ أعباء الأضاحي

فاجعليني طائراً فوق غُصنِكِ الرفيقِ

وانتشري كالرَّحيقِ

فكِلانا تائِهٌ عنِ اسْمِهِ

وكِلانا يَبْحَثُ عَنْ جِسْمِهِ

وكلانا فائحٌ مثل الحَريقِ

وكلانا يَشْتَهي حُبّاً شريدا

وكلانا يَجِدُ الآخَرَ في وَرْدِ الطَّريقِ